دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد

- القرآن وعلم الهجاء
  الدكتور جعفر ميرغني
- نشوء الدولة السودانية : منظور أركيولوجي - تاريخي
  الدكتور عبد الرحيم محمد خبير
- المسألة السودانية بين يدي العقد الأول من فواتيح الألفية الثالثة
  البروفسير حسن مكي محمد أحمد
- أولية الشعر العربي التشادي
  الدكتور عبد الله حمدنا الله
- أحمد بن إدريس المغربي وآثاره العلمية
  الدكتور يحى محمد إبراهيم
- النمو السكانى في إفريقيا
  البروفسير مصطفى محمد خوجلى

العدد الثامن والعشرون - السنة الثامنة عشر - ديسمبر ٢٠٠٢م / شوال ١٤٢٣هـ

الإسلام ودوره في العلاقات السودانية المصرية

د. طارق أحمد عثمان*

مقدمة :

تهدف هذه الدراسة المحدودة الى التعريف بطبيعة العلاقات التى قامت بين مصر والسودان على أساس الإسلام ، وإلى استقصاء وتبين الدور المصرى الهام فى مسارات الإسلام السودانى (الشعبى ، و الحكومى والتعليمى) .

لقد كانت مصر بعداً هاماً للسودانيين ، ولم يعش السودانيون أبدا يوما من دونها ، والنيل الذى يمر عبر بلادنا يحمل كل خير وصدق ومحبة أهل هذه البلاد مذابة فى ماء النيل الجارى من الجنوب نحو الشمال .

وقامت الخرطوم على ضفة النيل ، ومن الخرطوم يبدأ النيل الواحد الموحد ، بعد أن التقى رافداه الكبيران الأزرق والأبيض ، ومن نقطة التوحد هذه يسير متوجها نحو بلاد الأنبياء التى مافتىء القرآن يذكرها بخير ويصفها فى أكثر من موضع تارة بالجهر والذكر وتارة بالإشارة والتلميح .

والخرطوم – حيث يبدأ النيل – قامت على أساس الدين منذ مطلع أيامها ، وكان الدين جامعا بين طرفى وادى النيل ، جمعت بينهما عقيدة التوحيد الباكرة لدى المصريين القدماء ، وجمعت بينهما المسيحية ، وأخيرا كان الإسلام الرابط الذى لا تنفك عراه أو تهن أطرافه ، أو يعتريه الضعف ، كان هو الجامع الأوفى حظا والأكثرا بقاءا والأطول أمدا .

وإن كانت صلاتنا بمصر يصيبها فى بعض الظروف القليل من الدخان إلا أنه ومما لاشك فيه إن شمس العلاقات السودانية والمصرية أقوى من سحب عارضة تجيء وتمضى.

* مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة إفريقيا العالمية – الخرطوم

مدخل :

إن الصلات السودانية المصرية ليست حدثا جديدا بل إن جذورها ضاربة فى القدم ، فمنذ فجر التاريخ ظل نهر النيل الذى يفيض خيرا وبركة على البلدين يربط بين السودان ومصر فى وحدة طبيعية ، ولم يكن سبب الارتباط هذا النيل فحسب بل انتشرت الجماعات البشرية شمالا وجنوبا وتداخلت حتى اختلطت الأعراق وامتزجت الدماء منذ عهود سحيقة ويعتقد عدد من الباحثين أنه ليس ثمة فرق عرقى بين سكان مصر خاصة الجزء الجنوبى منها وسكان شمال السودان ، ويلاحظ أن سكان صعيد مصر تغلب عليهم الصفات الإفريقية بينما تقل تلك السمات كلما اتجهنا شمالا نحو الوجه البحرى ، حيث تغلب العناصر الوافدة من حوض البحر الأبيض المتوسط وآسيا - فيما يروى- كما يؤكد بعض الباحثين أيضا أن الشعوب السودانية الناطقة باللغات السامية لاتختلف فى أصولها العرقية عن تلك الشعوب التى كانت تسكن مصر قبل عهد (الأسرات) الفرعونية ، لقد كان التداخل والتواصل بين هذه المجموعات البشرية متوافرا فى ذلك الزمان المبكر ، فلما عمرت الحضارة المصرية وازدهرت وشملت أجزاء واسعة من أنحاء كبيرة من شمال وادى النيل وأواسطه زاد التواصل البشرى ، عن طريق الهجرات والـــــغزو والتعامل التجارى والتفاعل الثقافى (١)

لقد مهد التشابه العرقى والتواصل البشرى بين صعيد مصر وبلاد النوبة لنشأة الحضارة المصرية القديمة ومن خلال التمازج بين ثقافات تلك الشعوب برزت مقومات الحضارة فى كل من مصر والسودان ، إن صدق هذه النظرية التاريخية الواصفة لقدم العلاقات بين شعبى وادى النيل تدل فى حدها الأدنى ، على قدم مساهمة الشعبين فى حضارة وادى النيل التى ارتبطت فيها الحضارة المصرية بالحضارة السودانية منذ فجر التاريخ وينبغى ان نلحظ هنا أن مساهمة مصر فى هذا الإنجاز كانت أعظم ، وذلك بحكم موقعها الجغرافى الهام ولانفتاحها على ثقافات مختلفة وحضارات عريقة (٢).

الدين وأثره فى الصلات بين الشعبين :

لقد ظهر فى تاريخ السودان القديم (الدين) كرابط بين الشعبين السودانى والمصرى ، فلقد تمسكت إحدى الأسر التى حكمت جزءا السوادن قبل الميلاد فى عهد نبتة المملكة السودانية المعروفة ، تمسكت هذه الأسرة بعقيدة آمون ، وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة ، كما اعتبر اسم بعنخى ، عاهل هذه الأسرة (٧٥١ - ٧١٦ ق . م)

اسما مصريا صميما سبق استعماله أيام الأسرة الحادية والعشرين (أسرة الكهنة فى طيبة) ، بل ويعتبر مؤسسو هذه الأسرة سلالة أسرة الكهنة فى طيبة التى فر بعض أفرادها إلى نبتة خوفا من نتائج الهزيمة على أيدى الأمراء الليبيين الذين ملكوا زمام مصر حينذاك وحكموها طوال الفترة مابين سقوط الأسرة الحادية والعشرين وقيام الأسرة الخامسة والعشرين (٣)

قامت مصر أيضا بدور إيجابى فى نشر العقيدة المسيحية فى بلاد النوبة ، التى شملت مملكة المريس (نوباتيا) وقد اتحدت مع المملكة الثانية (المقرة) وكونت مملكة النوبة وعاصمتها دنقلة ، أما المملكة الثالثة فهى علوة وعاصمتها سوبا (٤)

ونتيجة لاضطهاد الرومان لأصحاب الدين المسيحى خرج جماعة من أتباع هذا الدين من المصريين إلى جنوب الشلال الأول ثم إلى أماكن بعيدة فى الصحراء الشرقية والغربية بعيدا عن اضطهاد الرومان ، ونقل هؤلاء إلى السكان فى هذه المناطق التعاليم المسيحية يضاف إلى هؤلاء جماعات التجار الذين أسهموا بنصيب وافر فى تغذية هذه العقيدة الدينية ، وقد وردت أول إشارة إلى علاقة إقليم حوض وادى النيل الأوسط بالمسيحية فى الكتاب المقدس ، حيث جاءت قصة الحبشى الذى كان وزيرا لإحدى الملكات السودانيات ، إذ كان ذا منزلة عظيمة عندها (٥)

لقد أيد السودانيون كنيسة الإسكندرية وكانوا تابعين لها ، وقد أظهروا تعاطفهم نحوها بشكل عملى ، حينما شنوا هجماتهم على صعيد مصر قاصدين النيل من الجيوش الإسلامية التى استولت على مصر فى سنة ٦٤١م (٦).

الإسلام والدور المصرى فى السودان:

قاد المسلمون عبر مصر بعد أن تم لهم فتحها حملات تأديبية لبلاد النوبة ، لكفهم عن الهجمات التى قاموا بها على صعيد مصر وقد اتفقت رغبة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع رغبة قائده فى مصر عمرو بن العاص حول ضرورة فتح أراضى النوبة ، لضمان المحافظة على أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة القديم بين البلدين (٧) وذلك لن يتم الا بإسكات اعتداءات النوبة ووقفها ، وترى المصادر العربية أن حملتين رئيستين قد دخلتا أرض النوبة : الحملة الأولى فى زمن ولاية عمرو بن العاص وكانت فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م ، أما الحملة الثانية فتمت فى عهد عبدالله بن سعد بن أبى السرح سنة ٣١هـ- ٦٥١م ولم تفلح الحملة التى سيرها عمرو بن العاص بقيادة

عقبة بن نافع فى وقف تحرشات النوبة ، مما دفع عبدالله بن ابى السرح الى توجيه حملة المسلمين الثانية إلى بلاد النوبة كما أشرنا آنفا (٨) وتمكن جيش ابن أبى السرح من التوغل جنوبا حتى دنقلة وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق فى ضرب المدينة ، فخربت كنيستهم ، واضطر ملكهم إلى طلب الصلح مع المسلمين الذين وقعوا معه عهدا او هدنة عرفت تاريخيا باسم البقط (٩) .

تسربت المؤثرات الإسلامية والعربية تدريجيا مما مهد لحدوث تطور بدل مصير بلاد النوبة سياسيا واجتماعيا ودينيا وتوغل التجار المسلمون إلى أعماق بلاد النوبة وماوراءها وكانوا روادا للفتح الإسلامى الجديد لهذه البلاد ، كما أخذت بعض الجماعات العربية فى شراء الأراضى فى المريس وقادهم الأمر فى النهاية إلى الاختلاط بالسكان والتمازج معهم وبالتالى انتشار الإسلام بين أهل البلاد الأصليين (١٠).

اعقب عملية انتشار الإسلام ، وتهاوى وسقوط ممالك النوبة المسيحية قيام السلطنات الإسلامية ، وهذه السلطنات وان كان قيامها لم يأت فور اندياح الإسلام فى بلاد سودان وادى النيل ، وإنما جاء بعد فترة ليست بالقصيرة من الهجرات المتصلة إلا أنه شكل ظاهرة فريدة من نوعها وأعطى إشارة ذات دلالة واضحة كما أنه كان تحولا تاريخيا وهاما للوجود الإسلامى فى هذه الأرض فلقد عبرت هذه السلطنات عن تمسكها بالإسلام ، وجسدت ذلك فى مظاهر متعددة كما أنها قدمت الخير العميم للدين الإسلامى فنشرت العلم الشرعى – وإن كان ذلك قد تم بشكل محدود – كما أنها ساعدت رجال الدين وحافظت على المكونات الإسلامية لأهل السودان – ومن أبرز الممالك التى قامت بهذا الدور السلطنة الزرقاء أو دولة الفونج .

الصلات المصرية السودانية إبان عهد الفونج:

تذكر المصادر التاريخية أن قيام سنار كان فى سنة ١٥٠٥م إثر تحالف جرى بين القواسمة من عرب جهينة وعلى رأسها عبدالله جماع وبين الفونج فى سنار وكان كبيرهم عمارة دنقس (١١)

وقد وضح اتصال هذه السلطنة بمصر عندما دخلت فى حرب مع الحبشة ، كما تطلعوا إلى الأزهر الشريف ورجاله وعلمائه وكان للملك بادى الأول المعروف بسيد القوم صلة قوية بعلماء مصر (١٢).

ومع بداية حكم الفونج كان الإسلام ضعيفا بل ومهزوزا من حيث التعاليم وفروض

الشريعة التى لم تكن معروفة تماما لدى السودانيين وكان الجهل بأمور الشريعة ضاربا بأطنابه لدى العامة والخاصة ، حتى أن الناس لم تكن تعرف عدة المطلقة أى المرأة المطلقة ، أو ربما لم تكن تعبأ بها ، حتى جاء من مصر الشيخ محمود العركى وهو سودانى المولد ودرس بمصر على الشيخ اللقانى ، وقد أمر بالعدة للمطلقة ، وقـــد كان الناس قبله ، يزوجون المرأة فى ذات اليوم الذى طلقها فيه زوجها (١٣).

وفى أول عهد عجيب المانجلك قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى ديار الشايقية فى شمال السودان ، وقام فيها بتدريس الفقه على المذهب المالكى وكتبه مثل كتاب مختصر خليل وهو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندى من كبار علماء المذهب المالكى بمصر ، وقد أعاد مختصره هذا على شرح (جامع الأمهات لابن الحاجب) ونحو رسالة ابن ابى زيد القيروانى وصاحبها هو عبدالله أبو محمد بن أبى زيد القيروانى من أشهر أئمة المالكية فى زمانه وله مؤلفات كثيرة فى المذهب المالكى (١٤). كما جاء إلى السودان من مصر أيضا الشيخ محمد بن على بن قرم وكان شافعيا وأدخل المذهب الشافعى إلى البلاد (١٥)

ومن الذين تتلمذوا على الشيخ المصرى الشافعى محمد بن قرم ، من السودانيين الشيخ عبدالله العركى ، والقاضى دشين ، وعبدالرحمن ولد حمدتو(١٦).

كما جاء من مصر أيضا الشيخ محمد المصرى ، فى عهد الشيخ عجيب ، ونزل الشيخ محمد المصرى فى منطقة بربر وقام فيها بتدريس علم العقيدة والفقه واللغة وذاع علمه وانتشر بين الناس ، وكان عالما مالكيا أخذ المذهب المالكى عن الشيخ سالم بن محمد عزالدين بن محمد أبوالنجا السنهورى مفتى المالكية وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على مختصر خليل ، وقد قام الشيخ محمد المصرى بزيارة اربجى وسنار ولعل ذلك كان لنشر علمه وتدريس الناس ، واستقر أخيرا كما ذكر بمدينة بربر حيث بنى بها مسجدا وولى بها القضاء مما يدل على صلته بمنظومة الحكم آنذاك فى دولة سنار ، وقد مارس مهنة القضاء بكل صدق وعفة كما أنه حارب الرشوة فى هذه المهنة ، ويبدو أنها كانت موجودة فى تلك الفترة بشكل لايخفى ، وقد أدخل نظاما جديدا فى إدارة القضاء حيث أجاز اجرة كاتب الحكم ، وتوفى ببربر (١٧) .

ومن تلاميذ الشيخ المصرى من السودانيين ، الشيخ المكى النحوى الرباطابى أخذ عليه كما أخذ على الشيخ محمد بن عيسى وهو عالم سودانى جليل ، كان له عدد وافر من التلاميذ اخذوا عنه العلم ، منهم الشيخ موسى بن يعقوب أبوقصة والشريف عبدالرحمن

والفقيه حامد اللين والفقيه حميد الصاردى ، كما أن له العديد من المؤلفات مثل شرحه على السنوسية ، وهو مؤلف ضخم يقع فى أربعين كراسة ، كما له شرح على الأجرومية وشرح على الرسالة وغيرها من المؤلفات (١٨).

لقد أسهم العلماء القادمون من مصر ، إسهاما كبيرا فى نشر العلوم الإسلامية ، وفى ترسيخ مبادىء الإسلام ، وفى إرساء معالم واضحة لمناهج المعرفة وللتدريس الدينى ، فبالاضافة إلى من ذكرنا وإسهاماتهم فى التعليم ، قام الشيخ محمود العركى بتأسيس خمس عشرة خلوة (كتاب) على النيل الأبيض (١٩)

كما اتصل حكام الفونج بعلماء مصر وشيوخ الأزهر وكانوا يبعثون لهم الهدايا ويرسلون لهم الأموال ، مما حبب علماء مصر فى سلاطين سنار فجعلوا يدبجون القصائد فى مدح سلاطين الفونج، من ذلك القصيدة الطويلة التى قالها الشيخ عمر المغربى فى مدح السلطان بادى أبودقن والذى حكم سنار حتى سنة ١٦٧٧م والقصيدة مطلعها :

ايا راكبا يسرى على متن ضامر

إلى الغرب يهدي نحوه طيب الذكر

والقصيدة إن صحت نسبتها إلى الشيخ المغربى ، فهى تمثل جانبا من الصلات التى قامت بين حكام الدولة السنارية فى السودان وبين علماء مصر من رجال الدين (٢٠) وقد تأثر عامة السودانيين وخاصتهم بمشائخ الإسلام فى مصر ونقلوا فتاواهم واعتبروها ملزمة لهم فى المسائل الدينية ، فلقد جرى خلاف حول حرمة بعض المكيفات هى التنباك (وهو نوع من النشوق يتعاطى بواسطة الفم) والقهوة ، وتناظر رجلان من كبار مشائخ الدين فى السودان فى ذلك الوقت حول هذه المسألة ، هما الشيخ إدريس والشريف عبد الوهاب راجل أم سنبل : وذكر ودضيف الله فى كتابه العمدة فى تاريخ تلك الفترة أن الشيخ على بن زين العابدين الأجهورى ، وكان شيخا للمالكية بالقاهرة ، قد أباح شرب التنباك كما ذكر أيضا أن الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللّقانى وهو من متصوفة مصر وعلمائها ، قد قال بحرمة التنباك (٢١) ثم يستطرد ابن ضيف الله فى قصته عن مناظرة العالمين السودانيين لبعضهما فى مسألة تسرب التنباك فيروى أن الشيخ إدريس أرسل كتابا (أى خطابا) إلى الشيخ الأجهورى ، مع أحد تلاميذه الذى سافر الى مصر قاصدا الحج عن طريقها - وكان الحج عن طريق مصر امرا شائعا فى السودان فى تلك الأيام خاصة لدى العلماء وشيوخ التصـــوف - ثـــم روى بعـــد ذلك أحداثاً كثيرة

جرت بين الشيخ الأجهورى واللقانى (٢٢).

ذكرنا ذلك للإشارة إلى طبيعة الصلة التى جمعت بين السودانيين وبين أهل العلم فى مصر ، ومما لاشك فيه أن أبناء السودان كانوا يتطلعون الى مشائخ مصر وعلمائها ، وكانوا قبلة لهم ، ومحلا لثقتهم الدينية وقد شدوا نحوهم الرحال وسافروا إليهم بحثا عن المعرفة أور ربما البركة والتماساً للأخذ من معين الأزهر الشريف .

ومن الذين زاروا مصر وتأثروا بها من رواد الإصلاح الدينى فى السودان ، الشيخ أحمد الطيب بن البشير (١٧٤٢م - ١٨٢٣م) مؤسس الطريقة السمانية فى السودان وأبرز من اهتم بنشرها واتخذ الأتباع لها ، وقد استطاع بفضل ما قام به من مجهودات ، أن يجعل من طريقته السمانية ، طريقة ذات نفوذ عريض وأتباع عديدين ، لقد سافر الشيخ أحمد الطيب بن البشير إلى مصر وفى نيته الوصول عبرها إلى بيت الله الحرام ، ولكنه فى مصر مارس انشطة صوفية متعددة وقد قام بزيارة عدد من بلاد وقرى الصعيد المصرى نحو سوهاج وأسيوط وهوار (٢٣) ولما وصل مصر زار الجامع الأزهر والتقى فيه بعدد من علماء الإسلام من بين هؤلاء الشيخ محمد الأمير المتوفى سنة ١٨١٧م وكان صاحب مكانة دينية وسياسية مرموقة فى مصر آنذاك ، وربما أخذ الشيخ أحمد الطيب شيئا من العلم على يد الشيخ الأمير ، وقد ظلت أسرة الشيخ أحمد الطيب ، وهم ثلة من العلماء ورجال الدين توارثوا مشيخة الطريقة السمانية فى السودان أبا عن جد ، ظل أفراد هذه الأسرة على صلة لصيقة بمصر ، فكان الشيخ محمد شريف بن نور الدائم بن أحمد الطيب بن البشير يزور مصر ويتصل بأهل العلم والحكم فيها ، كما ظلت صلته بأسرة الشيخ الأمير مستمرة وتقوت بفضل الزمان وتعاقب الأيام وليس هناك أدنى ريب أن مشيخة السمانية فى السودان بقيت على ارتباطها بالتصوف الإسلامى فى مصر وأخذت منه الكثير ، وأفادت منه إفادات عظيمة فى هذا الجانب إلى يومنا هذا .

ومن علماء التصوف ورجاله فى السودان ، والذين تركوا أثرا بالغا على الحياة الثقافية والفكرية لدى السودانيين وكان له صلات عميقة بمصر ، الشيخ إبراهيم الرشيد المولود سنة ١٨١٣م فى شمال السودان ، وقد أخذ الطريقة الصوفية على يد السيد محمد عثمان الختم ، والطريقة التى أخذها هى طريقة السيد أحمد بن إدريس المولود سنة ١٧٥٠م بميسور بالمغرب الأقصى والمتوفى سنة ١٨٣٧م لقد سافر الشيخ إبراهيم الرشيد إلى صعيد مصر ووصلها سنة ١٨٥٣م وبدأ فى نشر تعاليم أستاذه السيد أحمد بن إدريس ، ويبدو أن السيد إبراهيم الرشيد قد لقى نجاحا عظيما فى صعيد مصر كما وضع أسسا

ثابتة لدعوته هناك وجذب إليه بعض كبار علماء الصعيد (٢٦) لقد تجاوزت دعوة إبراهيم الرشيد حدود مصر والسودان فوجد اتباعاً له فى تركيا والصومال وسوريا وغيرها (٢٥).

لقد خلف السيد إبراهيم الرشيد أثرا ثقافيا عظيما فى مصر فقد امتد أثره فى صعيد مصر وتعمقت جذوره ، ولازالت بعض الأسر فى إسنا تسمى أبناءها باسمه ، وهناك نجع باسمه فى الزيتية شمال الأقصر ، وتزوج هناك بأمراتين ومن تلاميذه فى مصر موسى اغا راسم والشيخ على الجربى الذى كان واعظا عاما للسجون المصرية ، والشيخ محمد خليل الهجرسى وهـــو عالم أزهرى (٢٦)

لقد ربطت طريقة السيد أحمد بن إدريس ثقافيا بين مصر والسودان ، فلقد عاش السيد أحمد بن إدريس لفترة امتدت لخمس سنوات منذ ١٨١٣م إلى ١٨١٩م . فى صعيد مصر (٢٧) ومن هناك أرسل تلميذه السيد محمد عثمان الميرغنى الختم المتوفى سنة ١٨٥٣م إلى السودان (٢٨) حيث وصله فى سنة ١٨١٦م وحقق به نجاحا عريضا واستطاع أن يؤسس به طريقة صوفية كانت فيما بعد صاحبة دور هام فى الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فى السودان كما ارتبط مشائخها بمصر ، ولجأ اليها السيد محمد عثمان الثانى بن السيد الحسن حينما اشتد عليه حصار أنصار الثورة المهدية فى مدينة كسلا فى شرق السودان فسافر مريضا إلى مصر وتوفى بها ودفن فى باب الوزير فى سنة ١٨٨٥ (٢٩).

وقد لحق السيد على بن محمد عثمان الثانى بأبيه فى مصر وبقى فيها إلى قرابة مجىء حملة الغزو الثنائى ، حيث رجع إلى السودان عبر سواكن ، وفى مصر كان تحت بصر ونظر المخابرات البريطانية والحكومة المصرية كما أنه تلقى منها عونا ماديا وتعويضات نتيجة ما لحق به وبأسرته فى عهد المهدية (٣٠)

لقد عاش السيد على فترة صباه الباكر فى مصر ، وباعتباره زعيما دينيا ووطنيا ، وكان له دوره الفاعل فى تشكيل أوضاع السودان فمن الجائز جدا القول بأن هذه الفترة من حياته والتى قضاها فى مصر قد ساعدت على تكوين رؤيته فى مستقبل أيامه ، خاصة إذا علمنا أن السيد على كان من أشد المؤيدين لتيار الوحدة مع مصر ، وهو التيار. الذى تكون نتيجة للتطورات التى أصابت الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى ، بل إن السيد على الميرغنى كان القائد الأهم لهذا التيار ، وعلى الرغم من أن السيد على كان قد أسر إلى بعضهم أنه يمقت المصريين ، إلا أنه كان يفضلهم على أن يأتى السيد عبدالرحمن منافسه وغريمه فى الساحة السودانية ، فيصبح حاكما للسودان ، لذلك فقد

جارى الدعـــوة إلـــى الارتباط بمصر مضطرا ولم تكن قناعته بهذا الأمر كاملة (٣١).

دور الأزهر فـى السـودان ، ونـشاطات الحـكومـة المصريـة تجاه الإسـلام فـى السـودان منذ ١٨٢١م

لقد كان إقبال السودانيين على العلم يتم فى شغف ونهم وكانوا يهاجرون من شيخ إلى شيخ فى طلب المزيد من المعرفة ثم يولون وجوههم شطر الأزهر الشريف ، فكان الأزهر قبلتهم العلمية ، وكانوا يسافرون إليه وقد أتموا حفظ القرآن الكريم ، وعلموا بعضا من علوم اللغة والفقه والعقيدة ، ويبرز لنا فى هذا المجال أسماء لعلماء كثر ، خاضوا تجربة السفر إلى الأزهر ، والانتقال إليه لأخذ المزيد من المعارف الدينية ، من هؤلاء الشيخ عمار بن عبدالحفيظ ، وقد سافر إلى مصر فى سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م ، ومكث فى الازهر زمنا ثم غادره الى الحجاز ثم الى مصر مرة أخرى وغادرها بعد ذلك عائدا الى بلاده وقد اهتم الشيخ عمار بجميع الكتب والحصول على نسخ منها ، وأحضر معه عددا وافرا من الشروح الفقهية والمصنفات ، الإسلامية ، أما فى مصر فقد درس على يد علمائها علوم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف(٣٢)

هكذا فإن السودانيين كانوا يسافرون إلى الأزهر غير ملتفتين لمشقة السفر ووعثائه وطوله وعنائه وكانت الرحلة تسغرق قرابة خمسة الأشهر ، يتعرض المسافر فيها للمخاطر والأهوال ، وعدم الأمان فى الطـــريق الذى كانت تعترضه غارات النهب والسلب (٣٣).

ومن الرواد الأوائل من العلماء السودانيين الذين اتصلوا بالأزهر وتعلموا فيه ونقلوا علومهم معهم إلى البلاد إسهاما فى نهضة المجتمع السودانى ، الشيخ عبدالرحمن حمدتو الخطيب وهو عالم كبير أطلق عليه ابن ضيف الله لقب شيخ الإسلام ، تفقه على عالم سودانى جليل هو الشيخ إسماعيل بن جابر ، ثم درس عند الشيخ البنوفرى الذى أثنى عليه وأشار إلى أنه يصلح أن يكون مفتيا لأنه يسأل عن خفايا الشروح، من أبرز تلاميذ الشيخ عبدالرحمن ، الشيخ حمد الأغبش الذى كون فيما بعد مدارس للعلم خاصة به وبأسرته ، وإبراهيم بن طبيحة الفرضي وغيرهم (٣٤).

من هؤلاء الرواد أيضا الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم بنى أبى ملاح هرب فى أيام صباه الباكر إلى الشيخ محد عيسى سوار الذهب فحفظ عليه كتاب الله الكريم وتعلم احكامه ، ثم سافر إلى مصر ودرس عند الشيخ على الأجهورى كتب الفقه المالكى وكتابات الشيخ الأجهورى فى العقيدة ، ومنحه الشيخ الأجهورى إجازة علمية فيما درس (٣٥).

أما مشاهير العلماء الذين تلقوا علومهم بالأزهر فى فترة متأخرة نسبيا ، فمنهم الشريف محمد الأمين الهندى والد الشريف يوسف الهندى مؤسس الطريقة الهندية بالسودان ، عاد محمد الأمين الهندى بعد دراسته فى الأزهر الشريف وأقام مسجدا بمنطقة (نوارة) على الرهد ، فأمه الطلاب من جميع الجهات يحفظون فيه القرآن ويقرأون علم التجويد والقراءات توفى الشريف محمد الأمين الهندى سنة ١٨٨٤م (٣٦).

من هؤلاء أيضا الشيخ البشير ودنعمة الذى تخرج فى الأزهر ودرس على جمال الدين الأفغانى وكان زميلا للشيخ محمد عبده وقد نبغ فى الفلسفة ، ثم عاد إلى السودان ليفتتح مدرسة له فى رفاعة لتدريس الطلاب وتعليمهم إلا أنها تعرضت للإغلاق فى عهد الثورة المهدية (٣٧)

منهم أيضا الشيخ أحمد الازهرى بن السيد إسماعيل الولى ، قضى الشيخ أحمد الأزهرى اثنى عشر عاما طالبا ومعلما فى الأزهر ثم عاد الى كردفان ليعلم الناس أصول الدين وقد عارض الثورة المهدية معارضة شديدة على عكس أخيه الأكبر السيد محمد المكى ، وقد قامت الحكومة المصرية بتعيينه قاضيا ومفتيا فى غرب السودان ولكنه مالبث أن قتل فى معركة ضد أنصار المهدى (٣٨)

منهم أيضا الشيخ محمد أحمد البدوى وقد أقام مجاورا فى الأزهر قرابة العشرين عاما ، كما عمل بالتدريس فى الأزهر لمدة ثمانى سنوات وقد توفى ودفن بمصر (٣٩) وأيضا عبدالرحمن بن أحمد البدوى الذى تزوج من مصرية وعاد بعد أن أتم دراسته فى سنة ١٨٦٩م (٤٠).

لقد شكل الأزهر ظاهرة فريدة من نوعها لدى العقلية السودانية ، وكانت الذهنية السودانية تفيض بالإحساس بأهمية الأزهر الشريف ، وبدوره الهام الذى يقوم به فى توعية الأمة وتوجيهها وإصلاحها وإرشاد المجتمع المسلم ، لقد أعلت الذهنية الجماعية السودانية من شأن الأزهر وبؤأته موقعا مباركا وكعبة لحفظة القرآن وطلاب العلم استطاع الازهر فى فترات هامة من تاريخ السودان أن يشكل وجودا كبيرا وأن يحافظ على طبيعة الإسلام ووجوده فى هذا البلد ، ولذلك بقى الإسلام فى السودان متأثرا بالثقافة الإسلامية المصرية وكما رسخت الطرق الصوفية وعظمت مكانتها فى مصر ، كذلك كان الحال فى السودان وعلى الرغم من أن الروافد التى غذت الإسلام فى السودان لم تكن قادمة فقط من مصر فهناك الحجاز والمغرب وهما رافدان هامان فى الفكر الدينى السودانى وأثرهما أعظم وأكبر من الأثر المصرى خاصة فى فترة ما قبل الحكم التركى -

المصرى الذى أمتد منذ ١٨٢١م وحتى ١٨٨١م عندما قامت الثورة المهدية ، أما هذه الفترة فيمكن أن نسميها فترة سيادة التيار الدينى القادم من مصر ، أما الفترة قبل هذه فهى فترة سيادة وغلبة التيار الحجازى ، مع وجود المؤثر المصرى ، فالطريق إلى الحجاز من السودان يبدأ بمصر ، إلا أن الوحدة السياسية والتى قامت عقب الوجود التركى - المصرى فى السودان أوجد الأثر المصرى بعمق وبقوة ، وخلفه كمقوم من مقومات الثقافة السودانية الحديثة .

فترة الحكم المصرى :

عندما جاءت جيوش محمد على إلى السودان فى ١٨٢١م كانت مظاهر الإسلام فى السودان متمثلة فى الخلاوى والزوايا والمساجد ، وكانت الناشئة تحفظ القرآن وتتلقى علوم الدين والعربية ، لقد أسهمت - كما ذكرنا آنفا - هذه المراكز فى نشر الإسلام والتعليم الإسلامى وفى ازدهار المدن والتجارة ورأينا كيف أن الازهر كان صاحب نصيباً كبيراً فى الثقافة الإسلامية التى سادت السودان بسبب ماقدمه من علم غزير لأبناء البلاد الذين شدوا الرحال إليه وسكنوا أروقته ولازموا حلقاته وعلماءه وتأدبوا بأدابه وتأثروا بتقاليده العريقة أو عن طريق علمائه الذين نزحوا للسودان منذ أوائل عهد الفونج ، وبادروا بإنشاء المراكز العلمية التى خرجت الكثيرين من أبناء البلاد ممن صاروا رسل ثقافة فيها ، وصار لهم بدورهم أتباع وتلاميذ (٤١).

إن السودانيين على الرغم من تقبلهم للأثر المصرى وأفرادهم حيزا للعنصر المصرى المتميز فى التكوين الدينى فى السودان ، إلا أنهم احتفظوا بمزاجهم الخاص فى المسألة الثقافية ، وكيفوا التعاليم الوافدة عليهم بما يتفق وواقعهم وبيئتهم ولم ينقلوا دون وعى أو تقدير ، يدل على ذلك الكثرة الغالبة التى اختارت فى الفقه العام (فقه العبادات) الفقه المالكى ، على الرغم من وجود المذهب الشافعى فى مصر ، وعلى الرغم من مجىء عدد من علماء الشافعية إلى السودان إلا أنه لم يجد حظا من القبول مثلما وجد المذهب المالكى ، إن الإسلام فى السودان اتخذ طابعا خاصا يفجؤك منذ أول وهلة فتراه مختلفا نوعا ما ، فى مظاهره وصوره وظلاله ، ونلحظ هذا فى مسارات التصوف الإسلامى فى السودان ، وهو أبرز ما أخذناه من مصر عبر المصنفات الأدبية والفكرية التى اتخذت التصوف موضوعات لها وعلى الرغم من أن السودانيين قرأوا عن متصوفة مصر المشاهير وعن حياتهم وتأثروا بها تأثرا كبيرا إلا أنهم مزجوا تصوفهم السودانى بعنصر محلى

خاص وامتدت التصورات الشعبية المحلية لتصل إلى التصوف القادم الينا من مصر ، ليتحول التصوف السودانى الى مزيج من عناصر محلية إفريقية مختلطة مع ماهو وافد .

تأثر السودانيون بمؤلفات عبدالوهاب الشعرانى الهامة جدا فى تاريخ المتصوفة خاصة متصوفة مصر مثل الشيخ عبدالرحيم القناوى وغيرهم ممن جاءوا الى مصر وأقاموا فيها بشكل دائم من أمثال أبى العباس المرسى ، وأبى السعود بن ابى العشائر بن شعبان البـاذنى وأبـى الحسـن الشـاذلى وغيرهـؤلاء ونجد الأثر الصـوفى المصرى بينـا لدى شخصيات هامة فى التاريخ السودانى الحديث ، فلقد تأثر الإمام المهدى قائد الثورة المهدية بما كتبه متصوفة مصر ، فبالإضافة إلى تأثره بما كتبه عبدالوهاب الشعرانى نجد المهدى ، يكتب قصيدة فى مطلع حياته الصوفية يتقرب بها إلى أستاذه محمد شريف والقصيدة تجرى على منوال تائية ابن الفارض الكبرى وقصيدة المهدى مطلعها :

ولما أراد الله شمس ولايتى

حمانى عن السادات أهل الطريقة (٤٢)

وبعيدا عن هذا الاستطراد نود أن نشير هنا إلى طبيعة الصلات التى قامت بين السودان ومصر وكان الإسلام محورا فيها فى فترة وجود الحكومة المصرية فى السودان .

كان الاهتمام بالمساجد والمراكز الدينية وبالتعليم أهم ما ميز الصلات التى قامت على هذا الصعيد ، فلقد اهتمت الحكومة المصرية أول ما اهتمت بهذه الجوانب منذ عهد محمد على الذى وافق على تأسيس رواق السنارية بالأزهر الشريف وقد قام هذا الرواق فعليا فى سنة ١٨٤٦م وظل الرواق يقدم رغـيف الخـــبز للطلاب السودانيين بشكل دائم (٤٣).

لقد أدرك محمد على تعلق السودانيين بالعلم والعلماء ، وعلم أن فقهاء البلاد وعلماءها يتمتعون بنفوذ كبير وشاهد مدى تعلق الناس بهذه الفئة ، وبالتعليم الذى تقدمه مراكز التعليم التقليدية فرأى عدم التعرض لها بأى نوع من التغيير أو التبديل ، وترك العلماء يؤدون دورهم كما أنعم عليهم بإنعامات مادية ومعنوية ، وقد صحب معه ثلاثة علماء من المذاهب الثلاثة يمثلون رجال الدين الرسميين المرتبطين بسياسة الحكومة المصرية ، كما عمل من جهة أخرى على نشر الطرق الصوفية ، فاستقدم معه من مصر طرقاً جديدة كالسعدية والرحمانية ، والأحمدية البدوية(٤٣) ومازال أحفاد الأسر المصرية التى جاءت مع حملة محمد على إلى السودان وبقيت فيه إلى يومنا هذا على ولائهم لبعض هذه الطرق

خاصة الطريقة الأحمدية البدوية بفرعيها المعروفين : المرازقية والسطوحية .

وفى عهد عباس الأول اهتمت الحكومة ببعض مساجد العلم فى السودان وشملتها بالإصلاح والتعمير ، فقد رفعت عريضـــة من الشـــيخ إبراهيم بن أمين تفيد أن بمنطقة (الخندق) شمال السودان مسجدا قديما للصلاة والعبادة وتلاوة القرآن ودراسة العلم ، فى حاجة إلى الترميم وإجراء راتب شهرى أو سنوى ، وقد حقق الوالى رجاءه وقامت الحكومة المصرية بإصلاح المسجد ، كما قام عباس بتعيين عدد من السودانيين الذين تعلموا بالسودان فى مجلس الدعاوى بالسودان وهو أشبه بالمحكمة العليا ، وهم الشيخ على جلابى ومحمد نور بن ضيف الله .كما عين الشيخ إبراهيم بن عبدالرافع مفتيا للمحكمة (٤٤) كما كتب عباس إلى حكمدار السودان يوصيه خيرا بالشيخ محمد على قرنى النقشبندى الطريقة وأمر سعيد من بعده بترتيب معاش للشيخ محمد على النقشبندى نتيجة لما يقوم به من مجهودات فى تعليم الأطفال (٤٥).

وكان إسماعيل نصيرا للتعليم الأهلى الدينى بالسودان وكان يرى أن تعمير مساجد العلم والدين ومساعدة الرعاية على إقامة الشعائر الإسلامية من الخيرات التى جبلت سجيته على حب إجرائها فقد قام بإصلاح مسجدين كبيرين بالسودان أحدهما هو الجامع العتيق بالابيض والثانى هو الجامع القائم بحلة أبى صفية ، كما أمر بترتيب أجرة سنوية لم يقومون بخدمة المساجد والمؤذنيين ، وغيرها من الخدمات المادية التى تقدم للمساجد ومراكز الدين (٤٦).

كما أمر إسماعيل بترميم مساجد أخرى فى مناطق البشاقرة وقرية عبود القديمة وغيرهما كما رتب الإعانات لمشائخ الدين من أمثال الشيخ خلف فقيه خلوة (كتاب) الكتياب بمنطقة الزيداب والفقهاء أبوصفية والمكى بن الشيخ إسماعيل الولى ومحمد توم بمأمورية سنار ، كما خصص إعانة شهرية لأسرة الشيخ الأغبش ولطلاب خلاوى الغبش وقد اشتهرت هذه الأسرة واشتهرت مدارسهم العلمية فى كل أنحاء السودان وتتلمذ على يديهم العديد من طلاب العلم (٤٧).

كما أمرت الحكومة المصرية بترتيب الإعانة الدائمة لعدد من الأسر الصوفية ذات الأثر الكبير فى السودان ومن بين هذه الأسر أسرة السيد الحسن الميرغنى وأسرة الشيخ الشيخ أبوصالح من آل الشيخ أحمد الطيب بن البشير (٤٨) وأسرة الشيخ إبراهيم الدسوقى بن أحمد الطيب بن البشير وغيرهم (٤٩)

إن وجود المذهب الحنفى فـى المحاكـم الشرعية فى السودان هـو مـن نتائج الأثر

المصرى الدينى على السودان فى فترة الحكومة المصرية (٥٠).

المهدية ومصر :

كانت فترة المهدية فترة انقطاع للصلات المصرية السودانية وكانت الثورة المهدية فى الأساس دعوة لتغيير الأوضاع التى صنعتها الحكومة التركية - المصرية - بعد أن تفشت المظالم وتطاولت أيام القهر وزادت مرارات جبى الضرائب وتحصيل المكوث من المواطنين بغير وجه حق وقد رأى الثوار المهدويون الحكومة المصرية المسلمة تستعين فى حكمهما للسودان بغير المسلمين من الضباط النمساويين والإنجليز وغيرهم ، وهذا ساعد على اقتناع عامة الشعب بكفر هذه الحكومة وبالتالى ضرورة محاربتها وطردها من البلاد ، وعلى كل فإن أى استعمار من أى نوع لم يكن أمرا محمودا فى يوم من الأيام.

اعتبر الإمام المهدى القضاء على نظم الكتابة التى وفدت على البلاد مع الإدارة المصرية ، مهمة رئيسة وواجبا مقدسا فمنع محاكاة الترك فى كل شىء وحث على اتباع الرسم الإملائى الذى اتبع فى المصحف بدلا عن الرسم الذى اتبعه الأتراك ، إلا أن القضاء على هذا الأمر نهائيا لم يكن متاحا فى ذلك الوقت فاضطر المهدويون الـــــــى الاستعانة بكتبة الإدارة المصرية فى شؤون الكتابة (٥١).

لقد كان المهدى يؤمن أن دعوة الإسلام دعوة عالمية وأن المهدية فكرة يجب أن تبلغ لكافة المسلمين فى شتى بقاع الأرض ولذلك دبج الرسائل وخط الكتب ليبعثها فى جميع الأنحاء بل كان يطمح إلى ابعد من ذلك ، فكان أتباعه يرجون أن يفتح الله عليهم بلادا ليست مسلمة ، والمهدى تاقت نفسه إلى فتح الشام والقسطنطينية والحجاز ومصر (٥٢) فكتب كتابا إلى والى مصر يدعوه فيه إلى أن يميز بين الخبيث والطيب ويشير إليه أنه لاسبيل إلى السلامة عند الله إلا باتباع دينه وإحياء سنة نبيه وإماته ماحدث من البدع والضلال والإنابة إليه تعالى ، وقد تأكد ذلك فى هذا الزمان الذى عم الفساد فيه سائر البلدان بسبب دسائس أهل الكفر التى أدخلوها على أهل السودان التى قادت إلى اندراس الدين وعطلت أحكام الكتاب والسنة فصارت شعائر الإسلام غريبة بين الأنام وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت المحارم واشتد الكرب على أهل الايمان ، ثم يذكر الخديوى أنه - أى المهدى - قد طوقه الله بالخلافة الكبرى المهدية وبشره بالنصر على من يعاديه وقلده بسيف النصر ، وبأن من شك فى مهديته فقد كفر إلى آخر الخطاب (٥٣) وكتب المهدى خطابا آخر إلى كافة سكان مصر وأهلها تجارا

وحكاما وعمدا وغيرهم ، وكان ضمن ما جاء في هذا الخطاب (أعرفكم أن النجاة من عذاب الله إنما تكون للمتمسك بدينه الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأظهرنى بالخلافة المهدية وأمرنى برعاية الخلق إلى العمل بالسنة المرضية (٥٤)

لقد اهتز العالم الإسلامى لظهور مهدى السودان ، وهاجر إليه جماعة من جميع الأقطار من الحجاز والهند والمغرب ومصر بقصد زيارته ونصرته وتأييده (٥٥)

ومن الذين ناصروا المهدى بقوة وتحمسوا للثورة المهدية وتشيعوا لها ودافع عنها بالقلم والكلمة من المصريين السيد أحمد العوام ، وكان قد نفى إلى الخرطوم بسبب مشاركته فى الثورة العرابية وكتب رسالة فى نصرة المهدى بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٠١هـ ١١ يوليو ١٨٨٤ سماها(نصيحة العوام) وكان لرسالته هذه أثر السحر فى نفوس أهل الخرطوم ، وفى تهيجهم على غردون وعلى الحكومة ، وقد انتهى به الأمر الى الموت فى سبيل ما أمن به من مبادىء وأفكار ، فقد أمر غردون بقتله ، فقتل فى سراى الشرق (٥٦).

ومن الذين تأثروا بالثقافة الإسلامية المصرية نتيجة لدراستهم فى الأزهر وكانوا من اتباع الثورة المهدية ومن كبار قوادها ومن هؤلاء القاضى أحمد جبارة والشيخ الحسين إبراهيم الزهراء الذى كان عالما وفقيها بل وكان ندا للإمام محمد عبده ، وقلبت له المهدية ظهر المجن ومات فى سجونها سنة ١٨٩٢م والشيخ إسماعيل عبدالقادر الكردفانى وهو أول من كتب مصنفا فى تاريخ الثورة المهدية (٥٧).

فترة الحكم الثنائى ودور مصر فى الحركة الإسلامية السودانية الحديثة:

فى مطلع القرن العشرين كان الجيشان المصرى والإنجليزى يحكمان السودان ، ولم تكن الحكومة البريطانية مطمئنة للتأثير المصرى للضباط والجنود والموظفين المصريين كما كانت تخشى من ردود الحركة الوطنية المصرية على الشارع السودانى ولذلك لم يكن الضباط المصريون مرغوبا فيهم بالسودان ، وربما كانت مظاهر التمرد التى تحدث بين حين وآخر فى الأورط السودانية فى الجيش من خلفها الضباط المصريون الذين كانوا على اتصال بالهيئات الوطنية فى مصر (٥٨).

أما الإسلام فكان الموظفون الانجليز فى فترة الحكم الثنائى ينظرون إليه باعتباره مهددا ، فلقد رفض المستر كرى اقتراحا بتخصيص إعانة مالية للخلاوى (الكتاتيب) لرفع مستوى الأداء فيها ، كما عمل هؤلاء الموظفون القائمون على أمر التعليم على إحداث نواع من التمازج بين التعليمين الدينى والعلمانى وذلك للحد من خطر إحياء المهدية

من جديد وقيام أنظمة دينية وكان (كرى) يعتقد اعتقادا راسخا أنه لاسبيل إلى إزالة ماهو عاكف فى عقول المسلمين من معتقدات إلا عن طريق تعليم أولى - دينى علمانى (٥٩).

وسعى كتشنر فيما بعد إلى إيجاد ضرب من المعرفة بالدين يرتكز على مسائل الفقه فيقدم ديناً خالياً من الروح المنفعلة أو المتحمسة للجهاد أو لغيره من قيم الثورة أو الدعوة للتغيير ، وكان كتنشر يعتقد أن السبيل إلى ذلك هو إيجاد مدرسين مسلمين بالسودان يتم إرسالهم إلى الأزهر بالقاهرة ، ومن ثم العودة للسودان مدرسين مؤهلين بعد اتمام الدراسة (٦٠).

أما ونجت . فقد كان على خلاف فى الرأى مع الحاكم العام ، اعتقادا منه بأن تلقين العلماء السودانيين مثل تلك الدراسات فى الأزهر قد يعرضهم للتشرب بآراء ضد الحكومة ، ورغم ذلك كان يفضل اتباع ذلك . الاقتراح اكثر من الفكرة القائلة بإحضار علماء مصريين للتدريس بالسودان (٦١).

بدأت الدراسة بكلية غردون التذكارية فى أكتوبر سنة ١٩٠٣م وكان بها قسم هام للغاية هو قسم معلمى اللغة العربية والقضاة الشرعيين ، وهو القسم الذى قام بالتدريس فيه جماعة من المعلمين المصريين أصحاب الأثر الكبير فى غرس الثقافة الإسلامية والعربية فى تلاميذهم وفى عامة المجتمع السودانى وكان لهم فضل كبير فى تشجيعهم على الاستنارة وزيادة وعيهم بالإسلام من هؤلاء الشيخ عبدالرؤوف سلام والشيخ محمد الخضرى الذى أصبح فيما بعد استاذا بالجامعة المصرية ، وهو صاحب المؤلفات القيمة فى التاريخ الإسلامى وتاريخ التشريع ، وكان منهم أيضا الشيخ محمد أبوالمجد والشيخ عبدالوهاب النجار والشيخ الغمراوى والشيخ مصطفى الطباخ (٦٤).

ومن أصحاب الأثر الكبير أيضا على المعرفة الإسلامية بالسودان الشيخ محمد ماضى أبو العزائم توفى سنة ١٩٣٧م وكان شيخا صوفيا مرموقا وثائرا وطنيا قويا له عدد من المؤلفات فى التصوف (٦٣) عاش فى السودان فترة وكون له أتباعاً وتلاميذ كما أقام العديد من الصلات مع وجوه المجتمع السودانى ، وطريقته فى السودان الآن تعرف باسم الطريقة العزمية وهى طريقة ذات أثر محدود فى عطبرة والخرطوم.

الحركة الإسلامية السودانية الحديثة ومصر :

كان البنا رحمه الله عظيم الاهتمام بالسودان ، وقد بدأت صلته به منذ سنة ١٩٣٧م

فى زاوية السيد محمد عثمان الميرغنى بالإسماعيلية ، ذكر الإمام البنا هذا الكلام فى معرض خطابه الذى ألقاه أثناء احتفال المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة بزيارة السيد محمد عثمان الميرغنى بمناسبة قدومه القاهرة وكان الاحتفال بتاريخ ٩ يونيو ١٩٤٨م وكان ضمن ماجاء فى هذا الخطاب قول البنا مايلى :(ولعل الكثيرين أيها السادة لايعلمون أننا نحن الإخوان مدينون للسادة الميرغنية بدين المودة الخالصة والحفاوة البالغة التى غمرنا بها من قبل ومن بعد كلما ذهب مبعوثونا الى السودان لا ، ولكنه دين قديم منذ نشأت هذه فى الإسماعيلية فقد كان أول أنصارها والمجاهدون لتركيزها الاخوان الختمية الميرغنية فالـــقلب الختمى والتأييد الختمى يســـير مـــــع تاريخ الدعوة منذ فجرها (٦٤).

وكانت الصحافة المصرية تنقل الى قراء السودان أخبار الإخوان وتتحدث عن نشاطاتهم فاثارت تطلع أهل السودان إلى معرفة المزيد من أخبار هذه الجماعة واحيت الأمل فى نفوس بعضهم لاستعادة مجد الإسلام واتخذ التبشير فى بادىء الأمر صورة جهد فردى من بعض الإخوان المصريين المقيمين فى السودان كالاستاذ بيومى على ، وفى إدارة الرى المصرى بالخرطوم أثار المهندسون المنتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين إعجاب نظرائهم من المهندسين السودانيين لما اتسمـــوا به من الورع والكفاءة وسمو الخلق (٦٥).

وتكونت أول لجنة للإخوان المسلمين بالسودان نتيجة لمجىء شخصين أحدهما مصرى والآخر سودانى درس بمصر فلقد كان لمجىء صلاح عبدالسيد وهو محام مصرى وجمال الدين السنهورى مابين عام ١٩٤٤م - ١٩٤٥م لنشر دعوة الاخوان فى السودان ، حيث خطبا فى نادى الخريجين ونادا بفكرة الإخوان ، وكان لهذا الأثر المباشر فى اهتمام السودانيين بهذه الجماعة على وجه الجد والمسارعة بالانضمام إليها (٦٦)

وتكونت أول لجنة فعالة لحركة الإخوان المسلمين بالسودان إثر مجهودات المصرى بيومى على ، وأخذت هذه الهيئة الإخوانية تجتمع كل مساء جمعة كجمعية دينية وفى سنة ١٩٤٦م قام الإخوان فى مصر بتكوين شعب للإخوان فى السودان فى الخرطوم وأم درمان والجزيرة وبورتسودان وعطبرة والدامر وشندى وقد اعتمد الإخوان المصريون فى تأسيس هذه الشعب على الخطب وإلهاب الحماس الدينى وتحـــريك العواطف تجاه الإسلام (٦٧)

وفى مارس ١٩٤٦ وصل إلى مصر الفوج الأول من الوفد السودانى برئاسة إسماعيل

الازهرى وهو وفد تألف ليعلن مطالب السودانيين الذين يدينون بوحدة مصر والسودان (٦٨) وحينها قام الاخوان المسلمون فى مصر بإعلان موقفهم تجاه السودان ورأيهم فى مسألة اتحاد السودان بمصر ، ووجهوا رسالة إلى إسماعيل الازهرى يرون فى هذه الرسالة مشروع صدقى - بيفن لايحقق مايصبوا إليه أبناء وادى النيل من الوحدة الصحيحة التى من لوازمها إلغاء الحكم الثنائى ثم يتضح موقف الإخوان فى مسألة سيادة مصر على السودان حيث بينوا رفضهم الكامل لهذه المسألة ووضحوا أن الوحدة فى رأيهم يجب أن تقوم على المساواة والإخاء (٦٠) .

لقد عولت الحركة الإسلامية السودانية فى طورها الأول على ورود تيار إسلامى عالمى قدم عليها من مصر باسم الإخوان المسلمين وطرح تطورا شاملا للدين ونموذجا لجماعة المتدينين المؤسسة على تزكية الأعضاء وتنظيم الصف (٧٠).

وبرز تيار سودانى المنشأ إسلامى الوجهة أصل انبعاثه جاء نتيجة لوجود تيار ليبرالى وشيوعى وسط الطلاب وكانت هذه المبادرة السودانية الطلابية هى (حركة التحرير الإسلامى) التى تكونت فى نهاية الاربعينيات وتمثلت صلة الحركة الإسلامية السودانية تجاه حركة الإخوان فى مصر فى العلاقة الفكرية والاعتبارية بأقوى مما تمثلت فى صلة عضوية مباشرة ، وأعقب ذلك وفى مسار تكونات الحركة الإسلامية فى السودان شىء من النزاع بين الحركة الطلابية المنشأ السودانية الأصل والحركة الشعبية المنشأ المصرية الانتماء والملتقى (٧١).

لقد كانت المرحلة الأولى من العلاقات بين الإخوان المسلمين فى السودان والإخوان المسلمين فى مصر عفوية وكان الإخوان فى السودان فيها ينظرون إلى مصر ويتجهون إلى إخوانهم ، وكانت المرحلة الثانية فيها وعى بصورة العلاقة بين الطرفين أما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة خلاف فلقد أراد الإخوان المصريون أن تقوم تنظيمات الحركة الإسلامية فى مختلف الاقطار مقام الشعب التابعة رأسا للقيادة بمصر ووفقا للائحة تنظيمية وطلب الإخوان المصريون من الإخوان فى السودان الالتزام ببيعة كاملة واندراج تنظيمى تام وقد أذن هذا بفراق بين الحركة الإسلامية فى السودان - إلا من خرج عنها وأسس جماعة أخرى اعترف بها الإخوان فى مصر - وبين الإخوان وقيادتهم المصرية وهكذا فبعد الانتماء الفكرى الكامل اتخذت الحركة الإسلامية فى السودان منهجا مستقلا لها بعيدا عن مصر (٧٢)

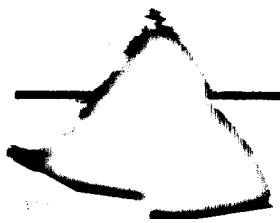

الهوامش :

١) يوسف فضل حسن (بروفسير): الخلفية التاريخية لشعب وادى النيل المجلس الأعلى للتكامل اكتوبر ١٩٨٣م ، مطابع أوفست ص ٥.

٢) نفسه ، نفس الصفحة.

٣) محمد إبراهيم بكر (دكتور) تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) ص ٩١.

٤) يوسف فضل حسن (بروفسير) : دراسات فى تاريخ السودان ط أولى(الخرطوم ، دار الطباعة جامعة الخرطوم ١٩٧٥م ، ص ص ٢٤ ، ٢٥.

٥) أحمد الحفناوى (دكتور) : سودان وادى النيل فى ظل الإسلام ، دار المعارف ١٩٨٢م ص ٤١.

٦) يوسف فضل حسن (بروفسير) : من معالم فى تاريخ السودان المجموعة الأولى يوسف فضل حسن وآخرون الخرطوم ، دار الفكر للطباعة (بدون تاريخ) ص ص ٢١ ، ٢٢ .

٧) مصطفى محمد مسعد (دكتور) ، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى بحث فى تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن ١٦ الميلادى القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦ ص ١١.

٨) يوسف فضل حسن (بروفسير) ، الهجرات البشرية وأثرها فى نشر الإسلام فى السودان ط أولى الخرطوم : دار الأصالة ١٩٨٧ بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الثقافة الإسلامية بالخروطم نوفمبر ١٩٨٢م ، ص ١٤

٩) مصطفى محمد مسعد (دكتور): المرجع السابق ، ص ١١٢

١٠) يوسف فضل حسن (بروفسير) سلطنة الفونج الإسلامية ، دورها فى تاريخ سودان وادى النيل دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية ، العدد الثانى والعشرون ديسمبر ١٩٩٩م ص ٤٦.

١١) أحمد الحفناوى ، المرجع السابق ص ص ٢١ ، ١٢٢

١٢) نفسه ، ص ١٢٧

١٣) محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق يوسف فضل حسن ط أولى ، دار الطباعة جامعة الخرطوم ١٩٧١م ص ٤٠.

١٤) نفسه ، صفحات ٤٠ ، ٤١

١٥) نفسه ، ص ٤٢
١٦) نفسه ، ص ٣٥٤
١٧) نفسه ، صفحات ١٠٠ ، ١٠١
١٨) نفسه ، صفحات ١٠٣ ، ١٠٤
١٩) عبدالمجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث (الدين - الاجتماع - الأدب) ط ثانية ، دار الثقافة ١٩٦٧م ص ٨٧.
٢٠) أحمد بن على الحاج أبوعلى (كاتب الشونة) : مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطة السنارية والإدارة المصرية تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل ومحمد مصطفى زيادة الجهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومى (د ت) ص ١١
٢١) محمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق صفحات ٥١ ، ٥٢
٢٢) نفسه ، صفحات ٥١ الى ٥٤.
٢٣) عبدالمحمود نورالدائم : العرف الفائح والضباء اللائح فى مناقب القطب الراجح والغوث الواضح ط أولى أم درمان مطبعة الحرية ١٩٥٥م ص ١٧
٢٤) يحيى محمد إبراهيم (دكتور) ، مدرسة السيد أحمد بن إدريس ط أولى بيروت ، دار الجيل ١٩٩٣م ص ٣٥٥
٢٥) يحيى محمد إبراهيم (دكتور) إبراهيم الرشيد الدويحى وجهوده فى نشر تعاليم أحمد بن إدريس المغربى دراسة إفريقية العدد الخامس عشر يونيو ١٩٩٦ ص ٦٠
٢٦) نفسه : ص ٦٨
٢٧) يحيى محمد إبراهيم (دكتوراه ، مدرسة السيد أحمد بن إدريس مرجع سابق ص ٥٨
٢٨) أحمد بن إدريس محمد النصيح ، الإبانة النورية فى شأن صاحب الطريقة الخدمية المكتبة الإسلامية (د . ت) ص ٨
٩) نعوم شقير ، تاريخ السودان (د . ت) ص ١٠٥
٣٣٠) طارق أحمد عثمان ، السيد على الميرغنى ١٨٧٩ - ١٩٦٨م دراسات إفريقية العدد ١٨ يناير ١٩٩٨م ص ص ١٤٣ ، ١٤٤
٣١) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار فى السياسة السودانية ط أولى مطبعة دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٣م ص ص ٥١ ، ٥٢
٣٢) محمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق ص ٢٥٩

٣٣) محمد سليمان ، دور الأزهر فى السودان الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ص ٢١ ، ٢٢
٣٤) محمد النور بن ضيف الله ، المرجع السابق ص ٢٥٦
٣٥) نفسه ، صفحات ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
٣٦) محمد سليمان ، المرجع السابق ص ٦١
٣٧) نفسه ، نفس الصفحة
٣٨) ب . م هولت ، الأولياء والصالحون والإسلام فى السودان ، ترجمة هنرى رياض والجنيد على عمر ط ثالثة بيروت دار الجيل ١٩٨٦م ص ص ٢٥ ، ٢٦.
٣٩) عزالدين الأمين ، قرية كترانج وأثرها العلمى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم كراسة رقم (١٩ ، ط أولى ١٩٧٥م ص ٧٤
٤٠) نفسه ، ص ص ٧٤ ، ٧٥
٤١) يحيى محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم الدينى فى السودان ، ط أولى بيروت دار الجيل ١٩٨٧م ص ص ٢٦٥ ، ٢٦٦
٤٢) الإمام المهدى ، الآثار الكاملة للإمام المهدى تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم ط أولى ١٩٩٠م ، ص ٥٤.
٤٣) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد (دكتور) ، التربية فى السودان الجزء الثانى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٩م ، ص ١٩
٤٤) يحيى محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم الدينى ، مرجع سابق ص ٢٦٦
٤٥) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد (دكتور) المرجع السابق ص ص ٢٤ ، ٢٥
٤٦) نفسه ، ص ٤٢.
٤٧) نفسه ، ص ٥٣.
٤٨) نفسه ، صفحات ، ٦٠ ، ٦٨ .
٥٠) طارق أحمد عثمان ، الطريقة السمانية وأثرها الدينى والاجتماعى فى السودان منذ دخولها سنة ١٧٦٦ إلى ١٩٥٥م ، رسالة دكتوراه ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية) (غير منشورة) ٢٠٠ ص ٢٥١.
٥١) عبدالمجيد عابدين ، مرجع سابق ص ١٤٦
٥٢) محمد إبراهيم أبوسليم (بروفسير) الحركة الفكرية فى المهدية ط أولى ، دار الطباعة ، جامعة الخرطوم ١٩٧٠م ص ٩٢
٥٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ط أولى بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٧م ،

ص ٩٢.

٥٤) الإمام المهدى : منشورات المهدى الجزء الثانى ، ط ثالثة ، إدارة المحفوظات المركزية وزارة الداخلية ، الخرطوم ١٩٦٤م ، ص ص ٢٧٧ ، ٢٧٨.

٥٥) نفسه ، ص ٢٨٩.

٥٦) نعوم شقير ، المرجع السابق ص ٩٥١

٥٧) نفسه ، ص ص ٨٢٨ ، ٨٢٩ .

٥٨) محمد سليمان : مرجع سابق ص ٨٣.

٥٩) محمد عمر بشير ، تطور التعليم فى السودان ١٨٩٨- ١٩٥٦م ، ترجمة هنرى رياض وآخرون بيروت ، دار الثقافة ، مكتبة خليفة عطية ١٩٧٠م ، ص ص ٧٠ ، ٧١

٦٠) نفسه ، ص ص ٧٢ ، ٧٣

٦١) نفسه ، ص ١٠٤

٦٢) نفسه ، نفس الصفحة

٦٣) عزالدين الأمين ، نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية ط أولى ١٩٩٩م مطبعة جامعة الخرطوم ص ص ١٨ ، ١٩

٦٤) محمد ماضى أبوالعزائم ، تذييل رسالة نيل الخيرات فى ملازمة الصلوات ط الثامنة عشر القاهرة ، دار المدينة المنورة ١٩٨٢م ص ٦٤

٦٥) محمد الخير عبدالقادر (دكتور) : نشأة الحركة الإسلامية الحديثة فى السودان ١٩٤٩ ١٩٥٦م ، الدار السودانية للكتب ١٩٩٩م ص ص ٥٩ ، ٦٠ .

٦٦) نفسه ، ص ص ٦٠ ، ٦١

٦٧) حسن مكى محمد أحمد (بروفسير) ، حركة الإخوان المسلمين فى السودان ، ١٩٤٤ - ١٩٦٩م ، ط رابعة دار البلد ١٩٩٨م ص ٣

٦٨) نفسه ، ص ٤ .

٦٩) نوال عبدالعزيز مهدى راضى (دكتورة) ، صدقى والإخوان ووفد السودان عام ١٩٤٦م ، المطبعة التجارية ١٩٨٨م ص ٤٩

٧٠) نفسه ، ص ١١١

٧١) حسن عبدالله الترابى (دكتور) ، الحركة الإسلامية ، التطور والكسب والمنهج ط ، أولى ١٤١٠هـ. ص ٢٨٩ .

٧٢) نفسه ، نفس الصفحة

٧٣) نفسه ، ص ص ٢٩١ ، ٢٩٢.